صيغة أسماء الاستفهام والاسم الموصول في اللهجة الحجازية الحضرية

أ. يعقوب بن حسن[1]
د. خالد بن لودين[2]
د. فهد بن عبد الحميد[3]

ملخص البحث

انحدرت اللهجات العربية الحديثة من اللهجات العربية القديمة، وتعتبر اللهجة الحجازية الحضرية من أشهر اللهجات العربية وأقربها إلى اللغة الفصحى وذلك لأنّ اللغة الفصحى لغة قريش، وقريش سكنت مكة في قلب الحجاز؛ ولكن بسبب طول العهد وتعاقب الأحداث السياسية والتغيرات الاجتماعية انحرفت اللهجة الحجازية الحضرية عن اللغة العربية الفصحى في مفرداتها وقواعدها وتصريف أفعالها ومنها في بعض صيغة أسماء الاستفهام والاسم الموصول، من هنا تأتي هذه الدراسة لتبين الاختلاف في صيغة أسماء الاستفهام والاسم الموصول بين اللهجة الحجازية والعربية الفصحى، حيث انتهج الباحث المنهج التاريخي لدراسة آراء الباحثين القدامى والمحدثين في أصل ونشأة اللهجة الحجازية الحضرية ثم المنهج المقارن للمقارنة بين النظامين والمنهج الوصفي لتحليل المقارنة بين النظامين وتوصل البحث إلى عدّة أمور من أهمها: أن اسم استفهام (مِيْنْ) في الحجازية تعني في الفصحى (مَنْ)، حيث كُسر حرف الميم مع إضافة ياء المد بعد الميم لتصبح (مِيْنْ) بدلاً من (مِنْ). واسم استفهام (فِيْنْ) في الحجازية وتعني في الفصحى (أين)، حيث حذفت الهمزة وأتت بفاء فأصبحت (فِيْنْ) مع إمالة الفاء للكسرة، بدلاً من (أين). واسم الاستفهام (مِتَى) في الحجازية وتعني في الفصحى (مَتى)، حيث كسرت

[1] yaakob@kuis.edu.my
[2] khalid@kuis.edu.my
[3] fahed@kuis.edu.my

الحجازية حرف الميم بدلا من الفتحة فأصبحت (مِتَى). واسم الاستفهام (ايْشْ) مع إمالة حرف الألف للكسرة في الحجازية يعني في الفصحى (ما، ماذا).

الكلمات المفتاحية: *اللهجة الحجازية الحضرية، صيغة أسماء الاستفهام والاسم الموصول*

تمهيد

عندما توسعت الفتوحات الإسلامية نزحت العرب من القبائل المختلفة من شبه الجزيرة العربية إلى البلاد المغزوة وعاشت بين أهالي مجتمع البلاد المغزوة، ومع مرو الزمن تكونت لهجات عربية حديثة في البلاد المغزوة. ومن ناحية أخرى فإن هجرة الكثير من المسلمين من بقاعات مختلفة ولا سيما البلاد المغزوة إلى مكة المكرمة ورغبتهم في جوار بيت الله الحرام وأداء العبادات من حج وعمرة والإقامة والعمل فيها أدت إلى ظهور اللهجة الحجازية الحضرية. وتشير الدراسات إلى أنّ عامل الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات سببان رئيسيان في تكوّن اللهجة الحجازية الحضرية. ومن ناحية أخرى نجد أنّ اللهجة الحجازية قد خرجت عن قواعد اللغة الفصحى بشكل كبير سواءا في الأصوات أو في قواعد الصرف والنحو، وقد أدّى ذلك الاختلاف إلى صعوبة فهم اللهجة الحجازية نوعا ما خاصة الأجانب الذين يتقنون اللغة العربية الصفصحى. ومن القواعد التي خرجت منها هي قواعد صيغة أسماء الاستفهام والاسم الموصول وأتت هذه الدراسة لتبين الاختلاف بين نظام الفصحى واللهجة الحجازية.

منهجية البحث

ينتهج هذا البحث عدّة مناهج فيبدأ بالمنهج التاريخي لدراسة آراء الباحثين القدامى والمحدثين في أصل ونشأة اللهجة الحجازية الحضرية ثم بالمنهج المقارن للمقارنة بين نظام العربية الفصحى واللهجة الحجازية الحضرية في صيغة أسماء الاستفهام والاسم الموصول والمنهج الوصفي لتحليل المقارنة بينهما.

اللهجة الحجازية الحضرية

معنى اللهجة

اللهجة لغةً في قاموس لسان العرب هي طرف اللسان. واللهْجة واللهَجة هي جرس الكلام، والفتح أعلى. ويقال فلان فصيح اللهْجة واللهَجة، وهي لغته التي جُبِلَ عليْها، فاعتادها ونشأ عليها. (ابن منظور2000م: ص241).

واللهجة عند علماء العربية القدماء تعني اللغة، قال ابن جني في باب اختلاف اللغات وكلّها حجة: "اعلم أنّ سعة القياس تبيح لهم ذلك، ولا تحظره عليهم، ألا ترى أنّ لغة التميميين في ترك إعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك؛ لأنّ لكلّ واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله. وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها". (ابن جني 1952م: ص10) وقد استعمل ابن جني في النص السابق كلمة (لغة) ويعني بها اللهجة.

كما تعني أيضاً اللحن، وقد ورد ذلك في المعاجم العربية القديمة وفي بعض الروايات الأدبية، كقولهم في مسألة نحوية: "ليس هذا لحني ولا لحن قومي"، (أنيس 2003: ص15) ويقصد باللحن اللهجة.

أما اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث فهي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدّة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. (أنيس 2003م: ص16).

وأرى من هذا القول أنّ العلاقة بين اللغة واللهجة تشبه العلاقة بين العام والخاص، لأن اللغة تشتمل على عدة لهجات، وكل لهجة تتميز عن غيرها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية التي تؤلف لغة مستقلّة عن غيرها من اللغات. (محيسن 1986: ص7)

وهذا لا يعني أنّ اللغة يجب أن تشمل على صفات كلّ لهجة من لهجاتها وإنما تأخذ من كل لهجة تنتطوي تحتها ما ينسجم مع قواعدها وقوانينها، وبالتالي تبقى كلّ لهجة من هذه اللهجات تحتفظ ببعض الخصائص التي تميّزها عن اللغة الأم وعن اللهجات الأخرى. إذ إنّ كلّ لهجة تمتاز بصفات خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة، وقد ترجع هذه الصفات إلى أصوات الكلمة أو بنيتها أو دلا لتها. (أنيس 1984: ص18)

واللهجة الحجازية ليست لهجة واحدة، بل مجموعة من اللهجات يتكلم به ساكنو الحجاز وما جاورها من تهامة، ويمكن حصر اللهجة الحجازية في مجموعتين:

- المجموعة الأولى: اللهجة الحجازية الحضرية وهي لهجة عربية شعوبية مثلها مثل باقي لهجات حاضرة المدن العربية، ويتحدث بها غالبية سكان المدن الكبرى: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والطائف، وينبع. وهذه اللهجة هي محور دراستنا هذه.

- المجموعة الثانية: لقبائل الحجاز مجموعة من اللهجات المتقاربة، تسمى اللهجة الحجازية البدوية مجازاً لتقاربها، وهي تشابه في نحوها وصرفها لهجات جنوب غرب الجزيرة العربية ولهجات نجد وبادية الجزيرة العربية عموماً، ولكنها تختلف في بعض النواحي الصوتية والمعجمية، وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن اللهجة الحجازية الحضرية. ويتحدث بهذه اللهجة قبائل الحجاز من سكان البادية والأرياف والقرى والوديان، وأشهرها: قريش، وكنانة، وخزاعة، وهذيل، وبنو سليم، ومطير، وعتيبة، وحرب، وجهينة، وبلحارث، وبني مالك، وغامد، وزهران، وغيرها. كما يتحدث بهذه اللهجة أيضا بعض أبناء القبائل ممن سكن مكة والمدينة المنورة وغيرها. وجدير بالذكر أن اللهجة الحجازية البدوية لم تنل نصيباً وافراً من الدراسة.

عوامل ظهور اللهجة الحجازية الحضرية

لاشك أن انشعاب اللغات الفصحى إلى لهجات ظاهرة طبيعية ناتجة عن عدّة عوامل من أهمها: عامل الانعزال بين بيئات الشعب الواحد وعامل الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات. (أنيس 2003م، ص20). وهذان العاملان سببا في ظهور اللهجة الحجازية، وفيما يلي تفسير لهما:

عامل الانعزال بين بيئات الشعب

أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن عامل الانعزال بين بيئات الشعب من العوامل التي تؤدي إلى تكون اللهجات، ونرى ذلك في قوله: "وهو أن تتسع رقعة لغة من اللغات وتفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية ثم تتشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدّة. فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك بين بيئات اللغة الواحدة، ويترتب على هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض، أو انعزالهم بعضهم عن بعض، ويتتبع هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة التي لا تلبث مع مرور قرن أو قرنين أن تتطور تطوراً مستقلاً يباعد بين صفاتها ويشعبها إلى لهجات متميزة، إذ لا بد من تطور الكلام وتغيّره على مرور الزمن".

وإذا تتبعنا تكوُّن اللهجات العربية الحديثة ولا سيما اللهجة الحجازية الحضرية نجد أنها تكونت لعدة أسباب منها توسع رقعة الفتوحات الإسلامية ونزوح قبائل مختلفة إلى البلاد المغزوة وحدوث صراع لغوي بين اللغة الغازية والمغزوة، كما أصبحت رقعتها أجزاء مختلفة تفصل بينها عوامل جغرافية واجتماعية الأمر الذي أدّي إلى حدوث تباين بين لغة المناطق المغزوة أدّى إلى تكوّن اللهجات العربية الحديثة.

ويعتبر العامل الجغرافي من أهم العوامل التي تؤدّي إلى انشعاب اللهجات، وقد أشار إليها الكثير من أصحاب اللغة، "لأن الأرض التي يعيش عليها البشر مختلفة، ففيها جبال وسهول ووديان، وفيها الأراضي الزراعية والقاحلة، ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فإنّ ذلك يؤدي إلى اختلاف اللغة فإذا انتشرت جماعة لغوية تعيش في كل مكان معين على أرض واسعة تختلف طبيعتها فإنّ ذلك يؤدي مع تطاول الزمن إلى إنشعاب لغتها الواحدة إلى لهجات. وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسمياً وعقلياً ونفسياً كما هو الواقع فإنها تؤثر كذلك على أعضاء النطق وطريقة الكلام" (هلال 1998م: ص33)، وذكر الدكتور أنيس فريحة عن دور البيئات الجغرافية في نشأة اللهجات بقوله: "ظنّ لغويو الغرب –ويجاريهم في تفكيرهم المعاصرون– أنّ لغة العرب القدامى كانت العربية الفصحى كما نعهدها في القرآن الكريم والشعر الجاهلي وفي القليل الذي وصلنا من النثر، أي تامة الإعراب وعلى منهج البلاغة والفصاحة التي نعهدها في المدون العربي. ثمّ إنّه عندما خرج العرب من موطنهم إلى مواطن الآرامية والفارسية والقبطية فقدوا ملكة اللسان كما يقول ابن خلدون وغيره، وأخذت مظاهر الركاكة والرطانة والعجمة تتسرب إلى لسانهم فنشأت اللهجات". (فريحة 1989م: ص24).

وإذا استعرضنا حدود الحجاز الجغرافية التاريخية نجد أنّ هناك آراء لعدد من الفقهاء والجغرافيين والمؤرخين من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين التي تحدد المقصود من الحجاز جغرافياً. يرى الإمام الشافعي رحمه الله (ت 204هـ) أن الحجاز مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها كلها، ولا يحب دخول مشرك بلاد الحجاز، ولا يقيم الذمي أكثر من ثلاث ليال، لكنه لا يرى مانعاً من أن يركب أهل الذمة بحر الحجاز، ويمنعون من المقام في سواحله، وكذلك إن كانت في بحر الحجاز جزائر، وجبال تسكن منعوا سكناها لأنها من أرض الحجاز. (الشافعي 2008م: ج4، ص177.-178)، ويذكر عرام السلمي (المتوفى في القرن الثالث الهجري) أن الحجاز من معدن النقرة إلى المدينة[4]، فنصف المدينة في رأيه حجازي ونصفها تهامي. (هارون 1373هـ: ط1، ص52). وهو يشير بذلك إلى جزء من الحد الشرقي للحجاز في رأيه. أما الهمداني (ت334هـ) فيرى أن جبل السراة من أعظم جبال العرب ويمتد من قعرة اليمن حتى أطراف بوادي الشام لذا أسماه العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور (أي تهامة) وبين نجد، فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وحكم وكنانة وغيرها، ودونها إلى ذات عرق والجحفة[5]، وما ضاق بها وغار من أرضها، وأما ما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحدر إلى ناحية فيد وجبلي طيء إلى المدينة وراجعاً إلى أرض مذحج من تثليث وما دونها إلى ناحية فيد حجازاً. (يعقوب1990م: ط1، ، ص85). ويحدد الإصطخري (ت340هـ) الحجاز بأنه ما كان من حد السرين على بحر فارس إلى قرب مدين[6] راجعاً في حد المشرق على الحجر إلى جبلي طيء ممتداً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس فمن الحجاز.(مُحَمَّد 1961م: ص 19-21)، ونفس التحديد يراه ابن حوقل (ت367هـ) بالنص. (النصبيبي 1938م: ص 19-20)، وينقل البكرى (ت487هـ) جملة من الآراء حول تحديد الحجاز ومنها أن ذات عرق فصل مابين تهامة ونجد والحجاز، والحجاز: ما حجز فيما بين اليمامة والعروض، وفيما بين اليمن ونجد، كما أن الحجاز اثنتا عشرة داراً: المدينة، وخيبر وفدك، وذو المروة،

---

[4]معدن النقرة: من منازل درب الحاج العراقي وتقع بين الحاجر ومغيثة الماوان والربذة. انظر: البلدان لليعقوبي ص,312 والمسالك والممالك لابن خرداذبه ص127، والإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص163، والمغانم المطابة في معالم طابه للفيروز أبادي، ص151 تعليق حمد الجاسر.

[5]ذات عرق: عرق الجبل المشرف على ذات عرق، وهو الحد بين نجد وتهامة، وتقع ذات عرق في الضريبة، انظر البلادي: معجم معالم الحجاز، ج5، ص199، ج6، ص77.

[6]إطلاق تسمية بحر فارس على البحر الأحمر من جملة تسميات أُطلقت على البحر الأحمر عند الاصطخري وابن حوقل والمقدسي؛ ويرى الأخير أن سببها أن أكثر صناع المراكب وملاحيها فيه كانوا فُرساً. مع العلم أن الجغرافيين الثلاثة من الذين عاشوا في القرن الرابع الهجري "العاشر الميلادي"، انظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ج1، ص18.

ودار بلي، ودار أشجع ودار مزينة، ودار جهينة، ودار بعض بني بكر بن معاوية، ودار بعض هوازن، وجل سُليم، وجل هلال. وحد الحجاز الأول بطن نخل وأعلى رُمة وظهر حرة ليلى. والثاني مما يلي الشام: شغب وبدا. والثالث مما يلي تهامة وبدر والسقيا ورُهاط وعكاظ. والرابع مما يلي ساية وودان، ثم ينعرج إلى الحد الأول بطن نخل وأعلى رُمة. ومكة من تهامة، والمدينة من الحجاز. (الأندلسي1945م: ط1، ج1، ص9-11)، وهو يشير بذلك إلى السراة، كذلك الحال بالنسبة لياقوت (ت626هـ) الذى يرى أن الحجاز يمتد من تخوم صنعاء من العبلاء وتباله إلى تخوم الشام، كما يذكر قولاً آخر أن فلسطين من الحجاز.(الحموي 2002م: ج2، ص219). ولابن المجاور (ت691هـ) رأي في تحديد الحجاز يلتقي فيه مع الاصطخري من أنه يمتد من السرين على بحر فارس إلى قرب مدين إلى حد الشرق على هجر إلى جبلي طيء ممتداً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس من الحجاز.(الشيباني 1986م: ص40).

ومن خلال العرض السابق لأهم آراء المتقدمين من الفقهاء والجغرافيين والمؤرخين في تحديد إقليم الحجاز، ورغم التفاوت الظاهر بين بعض الآراء في دقة التحديد إلا أن من المتفق عليه بينهم أن جبال السراة، تمثل الحجاز من حيث الوصف الجغرافي وتمتد من بادية الشام إلى تخوم اليمن، وينحصر مسمى الحجاز التاريخي من جنوب الطائف في السراة، والسرين في الساحل حتى العقبة وجبال الشراة في تخوم الأردن، وساحل البحر بين العقبة شمالاً والسرين جنوباً يسمى تهامة الحجاز وهو جزء منه وتقع مكة في تهامة والمدينة في الحجاز. ويظهر الاختلاف كثيراً في الحد الشرقي إلا أن الرأي المتفق عليه أن شرقي السراة وما سال من ذات عرق شرقاً يسمى نجداً.

وفيما يلي عرض لأهم آراء المؤرخين والجغرافيين والفقهاء المتأخرين والمعاصرين:

يذكر فؤاد حمزة أن جبال السراة هي التي تقسم جزيرة العرب إلى قسمين شرقي وغربي، وهي محاذية لساحل البحر الأحمر من شمال مدين إلى اليمن، وقد سميت حجازاً لأنها حجزت بين ساحل البحر الأحمر وهو هابط عن مستواها وبين النجاد الشرقية المرتفعة بالنسبة إلى الساحل الغربي، وقد سمى القسم الهابط عن مستوى الحجاز إلى الغرب بتهامة، وسمي القسم الشرقي منه نجداً. (حمزة 1388هـ: ص17). ويستعرض عمر رضا كحالة مجموعة من التعاريف والآراء حول تحديد الحجاز جغرافياً، فيقول: "الحجاز يقع في الناحية الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب وهو إقليم مستطيل اختلف في حدوده السياسية باختلاف العصور والدول كما تعددت الأقوال في حدوده الطبيعية" وينقل رأياً

لحافظ وهبه من أن الحجاز يمتد من معان ماراً برأس خليج العقبة إلى نقطة بين الليث والقنفذة على شاطئ البحر الأحمر كما ينقل عن شرف البركاتي الذي يحدد الحجاز غرباً بالبحر الأحمر وشرقاً بالبادية الكبرى وجنوباً بلاد قبيلة بني مالك بجبل السراة ووادي دوقة على الساحل، وشمالاً من جهة البحر الأحمر العقبة. أما أمين الريحاني فيوضح حدود الحجاز في جهة الغرب بالبحر الأحمر وفي الشمال بالعقبة وفي الجنوب بالقنفذة وجبال عسير، أما في الشرق فيرى أنها مختلف عليها وغير معروفة تماماً في رأيه (الريحاني 1964م: ص19-131)، ويرى صالح العلي أن القول بأن السراة هي الحجاز غير وافٍ ولا دقيق، فمن المعروف أن بعض أقسام السراة وخاصة ما كان فيها في الجنوب والشمال لا تسمى حجازاً وإن مسمى الحجاز يتركز في وسط السلسلة، وبعد عرض ونقاش لآراء المؤرخين والجغرافيين المتقدمين ينتهي إلى أن الرواة العرب أدركوا الأسس الجغرافية لتحديد الحجاز فاعتبروه الحد الفاصل بين تهامة ونجد غير أن التوسع في الجهة الشرقية كان متأثراً بالتنظيمات الإدارية في زمان كل مؤلف. (العلي1990م: ص61-73).

ويقدم أحمد الشريف تحديدًا للحجاز لعله أكثر وضوحاً حيث يرى أن الحجاز في العرف لا يقتصر على الجبال الممتدة من خليج العقبة إلى عسير بل يشمل تهامة. ويقدر المسافة من الشمال إلى الجنوب بـ سبعمائة ميل طولاً، ومائتين وخمسين ميلاً عرضاً. إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن هذه الأطوال قد تتفاوت من موقع إلى آخر بحسب قرب الجبال وبعدها عن البحر، ويشمل القسم الشمالي من الحجاز في رأيه أرض مدين "وحسمي"، وهي الجبال الواقعة شمال تبوك مما يلي أيلة "العقبة".(الشريف 1989م: ج1، ص19)، ويرى الباحث المعاصر عاتق البلادي أن أوسط الأقوال في تحديد الحجاز أنه يمتد من الشراة في الأردن إلى حَلِي، وتثليث، وجرش جنوباً، وتدخل فيه تهامة الممتدة من حلي إلى العقبة، ومن الشرق ينتهي إلى أن خير الأقوال من حدد الحجاز بالقرب من الحناكية. (البلادي 1982م: ص163-164)، وفي مقدمة كتابه "معجم معالم الحجاز" يقول: "أما المعالم التي تناولها الكتاب فهي من جنوب الليث جنوباً إلى العقبة والمدورة (سرغ) شمالاً ومن الشرق على الخرمة والموية وحرة كشب ورحرحان . شرق الحناكية . ثم شرق تيماء إلى الطبَّيق (جوش)"، (البلادي 1978م ص9)، فهذه حدود الحجاز عنده.

وبعد استعراض دقيق لآراء المؤرخين والجغرافيين حول تحديد الحجاز ينتهي بكر أبو زيد –عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية والفقيه المعروف– إلى أن الحجاز بالجملة مكة، والمدينة،

ومخاليفهما، وتلك الحرار، وما انحاز عنها غرباً إلى ساحل البحر الأحمر. (أبو زيد 1997م: ص26).

وبعد عرض آراء الباحثين والجغرافيين والفقهاء مبتدأً برأي الإمام الفقيه الشافعي رحمه الله ومنتهياً برأي الشيخ بكر أبو زيد الفقيه المعاصر يتضح لنا أنّ المدينتين المقدستين مكة والمدينة، ومخاليفهما وحرارهما، وساحل البحر الأحمر من أيلة " العقبة" حتى ميناء السرين جنوب الليث وما يقابل الساحل شرقاً ويسامته من جبال السراة جنوب الطائف هو المقصود بالحجاز. وأما الاختلاف من جهة الشرق فإن للتقسيمات الإدارية عبر العصور أثراً في هذا الاختلاف حيث تتسع في زمن وتضيق في زمن آخر، فقد اعتبر الإمام الشافعي اليمامة من الحجاز لأنها كانت في عصره تابعة لوالي الحجاز.

ويرى الباحث أنّ الاختلافات في تحديد جغرافية منطقة الحجاز على مر العصور سبب قوي في نشأة اللهجة الحجازية الحديثة ولا سيما أنّها تتمتع بوجود المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة والأماكن التاريخية الأخرى وبمساحتها الشاسعة وتضاريسها المتنوعة من مرتفعات ومنحدرات ومنخفضات وهضاب وسهول ووديان وشواطئ... وانتقال وهجرة أهل هذة المناطق من مكان إلى مكان وخاصة إلى مكة والمدينة. ومن ناحية أخرى فإن الحدود الجغرافية له صلة بالسياسة فمتى قامت السياسة على الانفتاح للمناطق والدول الأخرى أضافت إلى لهجتها ظاهرة جديدة.

عامل الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات

قد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلم أهلها لغة أخرى، فيحدث صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة، وتكون النتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاءً قد يكون تاماً، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة يشمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك.

وفي هذا الشأن فقد غزا العرب جهات كثيرة متعدد اللغات واستطاعت اللغة العربية آخر الأمر أن تصرع تلك اللغات في مهدها وأن تحل محلها، فقد تغلبت على الآرامية في العراق والشام، وعلى القبطية في مصر والبربرية في بلاد المغرب والفارسية في بعض بقاع مملكة فارس القديمة.

ومن جانب آخر فإنّ الحكم العثماني الذي دام لأربعة قرون في المنطقة وهجرة مجموعة كبيرة من مسلمي البلاد المغروة وغير المغزوة إلى أرض الحجاز للجوار ببيت الله الحرام أو لطلب العلم أو العيش وبقاءهم فيها لفترة طويلة أدّت إلى حدوث صراع لغوي أدّت إلى ظهور اللهجة الحجازية الحديثة.

وإذا ألقينا الضوء على تركيبة سكان أو مجتمع مكة المكرمة نجد أنها تتكون من خليط وأجناس مختلفة كالهنود الذين قدموا من الهند وباكستان وبنقلادش وسريلانكا، أما العنصر الجاوي فيشمل على كل من ماليزيا وتايلند وكافة الجزر الأندونيسية.

أما البخارية فهو اصطلاح يندرج على القادمين من مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية. والسليمانيون تعبير يشمل القادمين من أفغانستان ، والمغاربة هم سكان ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا. والشام تعني القادمين من أقطار بلاد الشام، وهي سورية والأردن وفلسطين ولبنان، والتكارنة تشمل جميع الأفارقة ممن دون الصحراء الكبرى من المحيط الأطلسي غرباً حتى البحر الأحمر شرقاً بالإضافة إلى المصريين واليمنيين والأتراك والجاليات الأخرى... كل هؤلاء بجانب السكان الأصليين الذين ينحدرون من سلالة قريش.

وقد وجد كل هؤلاء على ثرى مكة الطهور وعاشوا حنباً إلى جنب مع سكان مكة الأصليين، وامتزج هؤلاء في البوتقة المكية، وأصبحوا يشكلون أبناء بلد الله الحرام...واستقر الخليط السكاني في المدينة المقدسة وتصاهروا وتقاربوا بالجوار وذابت الفوارق وأصبح المجتمع المكي مجتمعاً موحداً قوامه المواطن المكي الذي جمع إلى طبعه وداعة الأنضولي وعظمة التركي، واستكانة الجاوي وكبرياء الفارسي ولين المصري وصلابة الشركسي ولون الحبشي. (البتوني 1911م: ص21-22).

وتحدّث عبدالله مُحَمَّد أبكر في كتابه بعنوان صورٌ من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع الهجري عن تركيبة سكان الحجاز ولا سيما مكة المكرمة خلاصته أن معظم سكان مكة اليوم مجموعات من سائر شعوب العالم، فهي أشبه بباقة من الزهر فيها من كل نوع ولون وردة، ويتفاضلون ويتمايزون فيما بينهم بالعراقة وإيغالها في القدم. فمن كانوا أعرق قامة عدوا أنفسهم هم أهل مكة.

وهناك من المجتمع المكي ينتسب بعضهم إلى أصول عربية هاجر أجدادهم إلى بلاد الهند أو تركيا أو أندنوسيا ثم عاد الأحفاد أو أحفاد الأحفاد مستعجمين لا يكادون ينطقون كلمة صحيحة بالعربية.

إن الحجاز ولا سيما مكة المكرمة والمدينة المنورة يتوافد إليها الناس من أجناس مختلفة على مدار السنة سواءاً للحج أو العمرة أو الزيارة أو العمل أو الإقامة فيها بحكم مكانتها بين الشعوب الإسلامية. هذه الأجناس التي تتوافد إليها تأتي ومعها عاداتها وتقاليدها وثقافاتها، وهنا يحدث صراعات بينها وبين أهل المنطقة، ومنها الصراع اللغوي وخاصة عند الجماعة التي قررت الإقامة فيها،

ويتسبب في ذلك ظاهرة التطور اللغوي، ولذلك نجد أن اللهجة الحجازية الحضرية خليط من اللهجات المختلفة مثل اللهجة المصرية والشامية واليمنية واللهجة الحضرمية كما تتشابه مع لهجة بادية الحجاز في بعض النواحي (أبكر ط2. ج2 2009م: ص574-575).

ويمكن القول بأن باقي اللهجات العربية الحديثة كان لها بعض من التأثير على بناء اللهجة الحجازية كونها مثل باقي اللهجات العربية لهجة شعوبية. وذلك لوجود المدينتين العظيمتين بالإسلام مكة والمدينة وهَوِي أفواج من علماء الدين وطلاب العلم والصالحين منذ فجر الإسلام من شتى الأمصار العربية والإسلامية، عدا عن تأثير اللغة التركية نظراً للحكم العثماني الذي دام لأربعة قرون في المنطقة. تعتبر اللهجة الحجازية الحضرية من أبسط اللهجات العربية، تستخدم اللهجة في الإعلانات والدعايات التجارية السعودية بكثرة لسهولة فهمها من قبل جميع شرائح المجتمع السعودي والخليجي. وعندما يطلق مصطلح اللهجة الحجازية بدون تقييد فإن المقصود به غالباً اللهجة الحجازية الحضرية.

صيغة أسماء الاستفهام

اسم الاستفهام "هو اسم مبهم يُستعلم به عن شيءٍ نحو: مَنْ جاء؟ كيف أنتَ؟ "(الغلاييني 2001م: ص139).

وما يتعلق بأسماء الاستفهام في الحجازية فقد أسقطت اسمي الاستفهام في الفصحى مثل: (أيان) وأبدلتها بـ (مِتى)، و(أنّى) بـ (كيف).

وأما بقية أسماء الاستفهام فإن الحجازية تتبع الفصحى في استخدامها مع بعض التغيرات في حروف أسماء الاستفهام، وفيما يلي جدول لتوضيح صياغة أسماء الاستفهام في الحجازية والعربية الفصحى في جمل استفهامية:

أسماء الاستفهام في الحجازية		أسماء الاستفهام في الفصحى	
اسم الاستفهام	مثاله في جملة	اسم الاستفهام	مثاله في جملة
مِيْنْ	مِيْنْ كتب الرسالة؟	مَنْ	مِنْ كتبَ الرسالة؟
فِيْنْ	فين مُحَمَّد؟	أين	أين مُحَمَّد؟
مِتَى	مِتَى موعد السفر؟	مَتَى	متَى موعد السفر؟

لِيْشْ	لِيْشْ غِبت عن المحاضرة؟	لماذا	لماذا غبت عن المحاضرة
ايشْ	ايش اسمك؟	ما	ما اسمك؟
	ايش بك؟	ماذا	ماذا بك؟
كَم	كم سعر الكتاب؟	كم	كم سعر الكتاب؟
كَيْفْ	كَيْفْ حالك	كيْفَ	كيفَ حالك؟

نلاحظ أن اسم استفهام (مِيْنْ) في الحجازية وتعني في الفصحى (مَنْ)، حيث كُسر حرف الميم مع إضافة ياء المد بعد الميم لتصبح (مِيْنْ) بدلاً من (مِنْ).

واسم استفهام (فِيْنْ) في الحجازية وتعني في الفصحى (أين)، حيث حذفت الهمزة وأتت بفاء فأصبحت (فِيْنْ) مع إمالة الفاء للكسرة، بدلاً من (أين).

واسم الاستفهام (مِتَى) في الحجازية وتعني في الفصحى (مَتى)، حيث كسرت الحجازية حرف الميم بدلا من الفتحة فأصبحت (مِتَى).

واسم الاستفهام (ايْشْ) مع إمالة حرف الألف للكسرة في الحجازية يعني في الفصحى (ما، ماذا)، وأصلها (أيش) وفي موقع ملتقى أهل اللغة أن (أيش) "كلمة منحوته من كلمتين أيَّ وشيء خفف منه. نصى عليه أبن السيد في (شرح أدب الكتاب) ورّحوا بأنه سُمع عن العرب" (www.ahlalloghah.com).

واسم الاستفهام (لَيْشْ) مع إمالة حرف اللام للكسرة، في الحجازية وتعني في الفصحى (لِماذا)، وأصلها من لأي شيء، فنحت الكلمتين لتصبح (ليش).

واسم الاستفهام (أيّ) مع كسر الياء المشدّدة وتكون للمذكر والمؤنث، وتعني في الفصحى (أيُّ) و (أيّةُ).

واسم الاستفهام (كَمْ) في الحجازية لا تختلف عن اللغة الفصحى (كَيفَ) حيث تستخد كما في الفصحى.

واسم الاستفهام (كَيْفْ) مع إمالة الكاف للكسرة، وتعني في الفصحى (كَيفَ).

صيغة الاسم الموصول

الاسم الموصول "اسم مبني يدل على معيّن بواسطة جملة بعده تسمى صلة الموصول" (نعمة، 1973م، ص123).

وتستخدم الحجازية لفظ (اللي)، وهو اسم موصول سواءاً للمتكلم: أنا اللي، أو المتكلمين: نحن اللي، أو للمفرد المخاطب: إنتَ اللي، أو للمفردة المخاطبة: إنتِ اللي، أو لجمع المخاطب: إنتم اللي، أو للمفرد الغائب: هو اللي، أو للمفردة الغائبة: هيّ اللي، أو لجمع الغائب: همّ اللي. وجدير بالذكر أن اللهجة الحجازية أسقطت ضمير المثنى للمخاطب والغائب (أنتما وهما) وأتت ببديل بضمير (هُمَّ)، وضمير جمع المؤنث السالم للمخاطب والغائب (أنتن وهن) وأتت ببديل بضمير (**إنتم**).

بينما في العربية الفصحى تكون لأسماء الإشارة ألفاظ خاصة هي: الذي للمفرد، التي للمفردة، اللذان للمثني المذكر (في حالة الرفع)، واللذين للمثني المذكر (في حالتي النصب والجر)، واللتان للمثنى المؤنث (في حالة الرفع)، واللتين للمثنى المؤنث (في حالتي النصب والجر) والذين لجمع المذكر، واللاتي، واللواتي، والائي لجمع المؤنث.

الخلاصة

اللهجة الحجازية الحضرية هي لهجة من اللهجات العربية الحديثة التي انحدرت من العربية الفصحى، وقد اختلفت وتميزت عن اللغة الفصحى في جوانب متعدّدة منها في صيغة استخدام أسماء الاستفهام والاسم الموصول. يؤدي هذا اختلاف نوعا ما إلى صعوبة فهم اللهجة الحجازية وهذه الدراسة جاءت لتوضح وتبين الفرق في استخدام أسماء الاستفهام والاسم الموصول في الحجازية والعربية الفصحى والغرض لتسهيل فهم اللهجة الحجازية ولا سيما أنها تتمتع بموقعها الجغرافي وبمكانتها عند المسلمين لوجود قبلتهم فيها.

المصادر والمراجع

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم. (2000م). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1952م). **الخصائص**. تحقيق: مُحَمَّد علي النجار. بيروت: دار الكتب العربي.

أنيس، إبراهيم. (2003م). **في اللهجات العربية**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

محيسن، مُحَمَّد سالم. (1986م). **المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية**. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

هلال، عبد الغفار حامد. (1993م). **اللهجات العربية نشأةً وتطوراً**. القاهرة: مكتبة وهبة.

فريحة، أنيس. (1989م). **اللهجات وأسلوب دراستها**. بيروت: دار الجيل.

الشافعي، مُحَمَّد بن إدريس. (2008م). **الأم**، تحقيق وتعليق: مُحَمَّد إبراهيم الخفاوي. القاهرة: دار الحديث.

هارون، عبدالسلام. (1373هـ). **كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها**. القاهرة: مطبعة أمين عبدالرحمن.

يعقوب، إميل بديع. (1982م). **فقه اللغة العربية وخصائصها**. بيروت: دار العلم للملايين.

مُحَمَّد، ابن إسحاق إبراهيم. (1961م). **المسالك والممالك**. تحقيق: مُحَمَّد جابر الحسيني. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة.

النصيبي، أبي القاسم. (1938م). **كتاب صورة الأرض**. ط2. ليدن: مطبعة بريل.

الأندلسي، أبي عبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز. (1945م). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. تحقيق: مصطفى السقا. ط1. ج1. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الحموي، ياقوت بن عبدالله. (2002م). **معجم البلدان**. تحقيق: عبدالله بن يحي السريحي. م2. أبو ظبي: المجمع الثقافي.

الشيباني، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن مُحَمَّد. (1986م). **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة "تاريخ المستبصر"**. تحقيق: أوسكر لوفغرين. بيروت: دار تنوير.

حمزة، فؤاد. (1388هـ). **قلب جزيرة العرب**. ط2. الطبعة الثانية، الرياض:مكتبة النصر الحديثة.

الريحاني، أمين. (1964م). **جغرافية شبه جزيرة العرب**. راجعه: أحمد علي. ط2. مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة.

العلي، صالح. (1990م). **الحجاز في صدر الإسلام**. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الشريف، علي. (1989م). **الحجاز قبيل ظهور الإسلام، بحث في ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدون**. الرياض: جامعة الملك سعود.

البلادي، عاتق. (01982م). **بين مكة وحضرموت**. ط1. مكة المكرمة: دار مكة.

ابو زيد، بكر. (1997م). **خصائص جزيرة العرب**. ط2. الدمام: دار ابن الجوزي.

البتوني، مُحَمَّد لبيب، (1911م). **الرحلة الحجازية**. طبعة مصر: بدون اسم المطبعة.

أبكر، عبدالله مُحَمَّد. (2009م). **صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع الهجري**. ط2. ج2. دمشق: منار للنشر والتوزيع.

الغلايني، الشيخ مصطفى. (2001م). **جامع الدروس العربية في ثلاثة أجزاء**. بيروت: المكتبة العصرية.

نعمة، فؤاد. (1973م). **ملخص قواعد اللغة العربية**. القاهرة: المكتب العلمي للتأليف والترجمة.

موقع الشبكة العنكبوتية: (www.ahlalloghah.com)